# المنهج اللغوىّ فى التفسير وتاريخه

## Linguistic Methodology of Tafseer and its History

سعيد احمد *


## ABSTRACT

The Holy Quran was revealed in Arabic Language, it is, therefore necessary to seek Arabic Diction to gain the direct guidance from it. The companions of Holy Prophetﷺ, Tabeen, and the reverent Imams strictly rebuked those interpreters who interpret the Holy Quran without having command over Arabic Language. The verses of Quran that are clear in comprehension, explicit and easy, do require the source of interpretation as "Arabic Diction". This method highlights the positive trends to Arabic Diction. But in the matter of ambiguity and resemblance in verses and deduction of Masael, this Diction will be given second priority. Mere Diction and Arabic Socio-Diction may not be titled as most authentic. Diction is not the 'last word.' The very first priority will be given to the verses of Quran, Hadith e Nabvi and Quotations of Companions of Holy Prophetﷺ.

The companions themselves were the native Arabs but they used to do consult some Quranic terms with the Holy Prophetﷺ. As time passed, some strayed sects and atheists ignored this positive trend (Tafseer-bil-Mathur), and accustomed a new trend of interpretation of Holy Quran i.e. depending upon Arabic Diction only so that they may endorse their own thoughts. It was a negative source of interpreting the Holy Quran i.e. only by Arabic Diction.

The present article explores its historical perspectives after evaluating its negative trends. The Motazila sect got this trend nourished. The representing interpretations of Holy Quran of this trend have been analyzed in this article. At the end, Molana Ameen Ahsan Islahi's approach to Diction and his Tafseer 'Tadabbur e Quran' has been evaluated.


***Keywords:*** Arabic Language, Arabic Diction, Tafseer-bil-Mathur, Linguistic Methodology, Motazila

* سعيد احمد جنيوتى رئيس قسم اللغة العربية بكلية الحكومية تعليم الاسلام جناب نغرجنيوت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعتبر معرفة لغة القرآن الكريم من أهم الأدوات لفهمه وتفسيره ، ولا يصح فهمه وتفسيره إلا بطريق فهم اللسان الذي نزل فيه ؛فلذا يجب على المفسر أن يكون على معرفة تامة بقواعد اللغة العربية وأصولها ودلالاتها،فكان حقا على من أراد فهم معانيه وإدراك مراميه ، أن يكون على جانب كبير من التمكن من اللغة العربية ، وإلا لا يقدر على شيئ من ذلك.

ويقول الدكتور السبت:

"المراد باللغة العربية التى تعد من أهم شروط المفسر معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم ، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة ، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم ،أم حصلت بالتلقى والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين شافهوا بقية العرب ومارسوا اللغة على طريقهم ، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودوَّنوها،ولما كان القرآن كلامًا عربيّا كانت قواعد العربيّة طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة.

ونعنى بقواعد العربية : مجموع اللسان العربي ، وهى متن اللغة ، والتصريف والنحو والإشتقاق والغريب والإعراب والمعانى والبيان والبديع ومن وراء ذلك استعمالات العرب فى كلامها ، ووجوه مخاطبتها. "[1]

ومما لايختلف فيه اثنان أن للعلم بأصول اللغة العربية وللمعرفة بفروعها أهمية بالغة فى فهم وتفسيره والتسلح بهذا العلم يعتبر من أوجب شروط المفسر وأكمل آدابه ، فإن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، ويتوقف فهمه على معرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

يقول الإمام الزركشى :

"وقد أنكر السلف إنكاراشديدًا على من تجرأ على التفسير دون أن يكون عالما باللغة العربية"

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الإمام دار الهجرة مالك رحمه الله: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً"[٢]

وقال تلميذ ترجمان القرآن مجاهد رحمه الله : "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب "[٣]

ومع هذه المكانة السامية للغة وتلك المنزلة العالية لمعرفة أصولها، لا يجوز لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون اعتماده فيه على مجرد اللغة فقط؛ لأنه يؤدى إلى تعطيل كثير من المفاهيم الدينية والمعانى الشرعية الثابتة بالقرآن والسنة وإجماع الأمة.

وفى ذلك يقول الحربى:

"ومن قواعد التفسير أنه "ليس كل ما ثبت فى اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه ، بل يجب حمل كلام الله على الأوجه اللغوية والإعرابية القوية المشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة ، اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع"[٤]

فظهر من العبارات السابقة انّ الرجوع إلى اللغة العربية فى تفسيرالقرآن ليس مذمومًا. ولكن أنكر السلف على الذين اتخذو اللغة أساسًا ومدارًا ومناطًا لتفسير القرآن الكريم لا يحيدون عنها ولا ينصرفون إلى غيرها ولا يعتمدون على أسباب أُخرى لتوضيح القراٰن الكريم مثلًا توضيح القرآن بالقرآن "لغة القراٰن" وتبيين النبى ﷺ وتفسير الصحابة رضى الله عنهم وأقوال التابعين رحمهم الله ، ليس الرجوع إلى اللغة فى تفسير القراٰن مذمومًا ولكن أنكر السلف الّذين يصرفون الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا توجد غالبا إلا فى الشعر ونحوه ويكون المتبادرخلافها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكذلك ليس المراد بالمنهج اللغوى ، واللغويين فى هذا البحث الرجوع إلى اللّغة فى تفسير القرآن الكريم،بل أعنى الّذين يفسرون القرآن من وجهة نظرهم تاييدًا لآراهم الباطلة وأفكارهم الفاسدة.

نذكر أولا مفهوم اللغة وبعد ذلك يوضح المنهج اللّغوى وتاريخه.

**مفهوم اللغة عند اللغويين**

قال الجوهرى:

"اللغة أصلها لُغَىٌ أو لُغَوٌ- والهاء عوضٌ، وجمعها لُغىً مثل بُرَة وبُرًى ولغات ايضا، وقال بعضهم سمعت لَغَاتَهمْ بفتح التَّائِ- وشبّهها بالتاء الّتى يوقف عليها بالهاء والنسبة إليها لغويٌ ولا تقل لَغَوِيٌّ ". (٥)

وقال نصر الهورينى:

"اللغى جمع لغة من لغا بالشيئ لهج به، ولغوت بكذا لفظت وتكلمت به حدفت اللام وعوض عنها الهاء وأصلها لغوة بالضم كغرفة. واللغة فى تعارف حملة الشريعة عبارة عمّا حفظ من كلام العرب الخلص ونقل عنهم من الألفاظ الدّالة على المعانى وأمّا تفسيرها بانها أصوات يعبّرها كل قوم عن أغراضهم فغير مراد لأن المطلوب هنا تعريف اللغة الواقعة فى كلام المؤلف وهى لغة العرب البلغاء لا مطلق اللغة وهذا تفسيرلمطلق اللغة وليس الكلام فيه-" (٦)

**تعريف علم اللغة اصطلاحًا**

"فهو علم يبحث فيه عن مفردات الألفاظ الموضوعة من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة" (٧)

الإمام السيوطى خلال بحثه عن اللغة ومفهوم الصحيح الثابت المحفوظ، ينقل أقوال العلماء فى حد اللغة:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"قال ابوالفتح ابن جنى فى الخصائص:حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ثم قال واما تصريفها فهى فعلة من لغوت أى تكلمت وأصلها لغوّ ككرة وقلة وثبة كلّها لاماتها واواتٌ وقالوا فيها لغات ولغون كثبات وثبون وقيل منها لغا يلغىٰ إذا هذىٰ قال:

"ورب أسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم"

وكذلك اللغو فى قوله تعالى:﴿وَإِذَا مَرُّوْا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ (٨) أى بالباطل وفى الحديث "من قال فى الجمعة صه فقد لغا" أى تكلم انتهى كلام ابن الجنى وقال امام الحرمين فى البرهان اللغة من لغا يلغى من باب رضى إذا لهج بالكلام" (٩)

## المنهج اللغوىّ فى التّفسير

أما العلم باللغة العربيّة لغةالقرآن فإنه لا مراء بأن الصحابة رضى الله عنهم هم أهل اللغة المتقنون لها سليقة لا تعلماً ، فطرة لا تصنعاً ، طبعاً لا كسباً وكان الصحابة على ذروة الفصاحة وقمّة البلاغة ، عارفين أساليب اللغة ورموزها عالمين سعتها واسرارها وكانوا فى عصر النبى ﷺ وبعده يقرء ون القرآن أو يسمعونه فيعنون بتفهم روحه فان عنى علماء هم بشئ وراء ذلك فما يوضح الآية من سبب للنزول، واستشهاد بأبيات من أشعار العرب تفسر لفظاً غريباً ، أو أسلوباً غامضاً ولكنا لا نعلم فى العصر الأوّل ،إنحياز الصحابة إلى مذاهب دينيّة وآراء فى الملل والنحل ، فلما وقع هذا التفرّق الّذى تشتت منهج الصحابة رضى الله عنهم رأينا كل فرقة من هذه الفرق تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها وتفسره بما يتلاوم مع مذهبها ، فالمعتزلى يطبق القرآن على مذهبه فى الاختيار والصفات والتحسين والتقبيح العقليين ويؤوّل ما لا يتفق مذهبه وكذلك الشيعىّ وغيرذلك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

**اهميّة المنهج اللغوىّ لدى المعتزلة**

تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ومافيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة ومافيه من الاختصار والحذف ، والاضمار ، والتقديم والتاخير ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية ، كثر غلطه ودخل فى زمرة من فسر القراٰن بالرأى هذا هو المنهج الذى اختاره المعتزلة.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبى:

".... نجد المعتزلة قد حرصوا كلّ الحرص على الطريقة اللغوية الّتى تعتبر عندهم المبدأ الأعلى لتفسير القرآن وهذا المبدأ اللغوى يظهر اثره واضحاً فى تفسيرهم للعبارات القرآنية الّتى لا يليق ظاهرها عندهم بمقام الألوهية أوالعبارات الّتى تحتوى على التشبيه ، أوالعبارات الّتى تصادم بعض أصولهم فتراهم يحاولون أوّلاً إبطال المعنى الّذى يرونه مشتبها فى اللفظ القرآنى ثم يثتبون لهذا اللفظ معنى موجودا فى اللغة يزيل هذا الاشتباه ويتفق مع مذهبهم ويستشهدون على ما يذهبون إليه من المعانى الّتى يحملون ألفاظ القرآن عليها بادلة من اللغة والشعر العربى القديم،ثم إنّ المعتزلة بناء على رأيهم فى الاجتهاد ، من أن الحكم ما أدّى اليه اجتهاد كل مجتهد ، فاذا اجتهدوا فى حادثة فالحكم عندالله تعالى فى حق كل واحد مجتهده رفضوا أن يكون لآية التى تحتمل أوجها تفسيراً واحداً لاخطأ فيه وحكموا على جميع محاولاتهم التى حاولوها فى حلّ المسائل الموجودة فى القرآن بانها مرادة لله تعالى أو غاية ما قطعوا به هو عدم إمكان التفسير المخالف لمبادئهم وآرائهم، غاية الأمر أن المفسّر يقول باجتهاد والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب وهو ما جور فى الحالتين وان كان الاجر على تفاوت". (١٠)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

**منهج المعتزلة فى تفسير القرآن**

قام المعتزلة فى مطالع القرن الثانى للهجرة عند ما بدأت الأفكار الجديدة تسلل إلى العقول والحق أن طاقة العقل محدودة بحدود الزمان والمكان فانه لايمكن له أن تصور ما ورآء عالمه الذى يعيش فيه تصورًا صحيحًا إن كل من قايس هذه المسائل الغيبية الواردة فى الاية القرآنية ونحوها على محض العقول وحاكمها إلى المعلومات المشاهدة المحسوسة لم يهتد فيها إلى الصواب.

يقول الدكتور محمد زغلول سلام:

"ونشأت جماعة من علماء المسلمين ، تسلحوا بمناهج عقلية ، وعرفوا بقوة البيان وحسن الرأى ونفاذ البصيرة ، وقوة الحجة ، وعلى رأسهم المعتزلة ، وكبيرهم واصل بن عطاء وصاحبه عمرو بن عبيد ، وكان واصل صاحب بيان رائع ، وقدم راسخة فى البلاغة ، وكان داعية من كبار الدعاة آمن بمذهبه فقام يدعو إليه ويدافع عن القرآن والإسلام دفاعاً لا يعتمد كله على السنة ، ولا شاهد القرآن ، لأن أعدائه لم يعترفوا بهما ، بل اتخذ لنفسه منهجاً عقليّاً خلطه بالفلسفة ، وجمع من حوله جماعة من تلاميذه علمهم البيان وزودهم بالمنهج الذى أقامه وسار عليه ، وأرسل بهم إلى الأقاليم يجادلون أصحاب الديانات والبدع"[١١]

والإمام ابن قتيبة يبيّن منهج واصل ابن عطاء واصحابه ضدّ أهل السنة قائلا:

"وعلى منهج واصل بن عطاء سار صاحبه عمرو بن عبيد ، وكان رجلاً صالحاً زاهداً وكان كثيراً ما يصطدم بآرائه مع أهل الحديث والسنة ، فيتهمهم بأنهم أرجاس أنجاس أموات غير أحياء ويتهمونه بأنه صاحب هوى يمنعه من قول لصدق فيما ينقل". [١٢]

يقول الجاحظ:"كان داعية مقالة ورئيس نحلة "[١٣]ويقول: "ولأبى حذيفة واصل بن عطاء خطب محفوظة ورسائل مخلدة". [١٤]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند ختام البحث يوضح دكتور زغلول سلام منهج واصل بن عطاء وطريق استدلاله وقياسه ويذ كر أعلام العتزلة وحاملى فكرهم ومتأثريهم تأثر بالغًا "وظلت حياته كفاحاً من أجل القرآن والإسلام ، ومن القرآن استمد بلاغته وأقام من نفسه متكلماً بما فيه من معانى العدل والتوحيد ، يحسن فهم النصوص ويحسن التعبير عن تلك المعانى ، ببحثه فيما وراء الألفاظ من معان وصور ذهنية مجردة ، وخلف واصل فى تفسير القرآن على مذهبه كتاباً أسماه معانى القرآن.وجدير أن يكون تفسير واصل صورة أولى لكتب التفسير التى خلفها لنا المعتزلة ، يحمل خلاصة أفكاره الإعتزالية ويعبر عن آرائه البيانية فى أسلوب القرآن فى نطاق عقله الحر ، الذى لا يحكم المنقول تحكيما جامداً ، بل يوازن بين المنقول والمعقول فى حدود المعنى العام للنص. وحمل لواء الاعتزال بعد واصل وعمرو وكثيرون من علماء اللغة والبيان ، ومنهم من اتخذ الإعتزال مذهباً يدين به ،وتصطبغ به كتبه وآراؤه ، ومنهم محمد بن المستنير قطرب النحوى ، وأبو الهذيل العلاف وبشر بن المعتمر والنظام والجاحظ.ومنهم من اكتفى من الاعتزال بمنهج البحث ، وحرية الرأى والفكر ـودقة النظر فى الأمور ـومن هؤلاء الأخفش سعيد بن مسعدة ، والمازنى ، والفراء وغيرهم. " [١٥]

**أهم كتب التفسير على المنهج اللغوى:**

**النّظام وبيان القرآن**

بيان القرآن من الصور الأولى لكتب التفسير الّتى خلّفها لنا المعتزلة ولكن قد اختلفت عن نظرته كثير من أصحابه من المعتزلة لانه كان يميل إلى حرية الرأى والفكر كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدأ أمره كان ظنّا حتى تلميذه الجاحظ ينقد على بعض آرائه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول الجاحظ:

"قرأ النّظام كتب الفلاسفة ودرس الاعتزال ،واتصل بالثقافة الهندية والفارسية واليونانية وتعلم المسيحية ولا هوتها ، وكان يميل فى علمه إلى التجربة والقياس ، ولا يقبل التسليم بالمنقول والمأثور ، ويعيب عليه الجاحظ تماديه فى القياس فيقول: "...وإنما كان عيبه الذى لا يفارقه سوء ظنه وجودة قياسه على العارض والخاطر والسابق الذى لا يوثق بمثله فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الأصل الذى قاس عليه أمره على الخلاص ، ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظنيّاً،وأ لمّ بالثقافة العربية فحفظ القرآن ونظر فيه وفى تفسيره على ضوء مذهبه التجريبى القياسى وقاده هذا المذهب إلى للشك فى الحديث وفى آراء المفسرين". (١٦)

يقول الدكتور الذهبى:

"وكان النظام معتبراً فى مدرسة المعتزلة من الرؤوس الحرّة الواسعة الحرية وقد ذكر لنا تلميذه الجاحظ قوله الّذى قاله فى شان هولاء المفسرين." (١٧)

**يقول الجاحظ:**

كان ابو اسحاق يقول:"لا تستر سلوا إلى كثير من المفسرين وإن نصوا أنفسهم للعامة وأجابوا فى كل مسألة فان كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس وكلما كان المفسّر أغرب عندهم كان أحبّ اليهم وليكن عندكم عكرمة ، والكلبى والسدى والضحاك ، ومقاتل بن سليمان وابوبكر الأصمّ وقد قالوا فى قوله عزوجل: ﴿وَأَنَّ الْمَسٰجِدَ لِلّٰه﴾(١٨) إن الله عزوجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التى نصلّى فيها بل إنما عنى الجباه وكل ما سجد الناس عليه من يد وجبهة وانف وثفنة ـ وقالوا فى قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَنْظُرُوْنَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٩) إنّه ليس يعنى الجمال والنوق وإنما يعنى السحاب". (٢٠)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

**١ مجاز القرآن**

مجاز القرآن يمثل التيار اللغوى للتفسير وتوجد به بعض آثار البحث البيانى الّذى اتسع من بعد وهو يهمنا من هذه الناحية (المنهج اللغوى )

يقول الحربى:

"مجاز القرآن لإبى عبيدة معمر بن المثنى يعد من أشهر الكتب فى تطبيق هذا المنهج اللغوى فى التفسير ولن نبالغ لو قلنا أنه يعتبر من أهمّ مظان النماذج والامثلة التطبيقية المتمثلة فى منهج التمسك باللغة حيث جعل صاحبه ، القرآن نصاً عربياً مجرداً ولم يراع فى تفسيره سياق الأيات ولا أسباب النزول ولا المعانى الشرعية الّتى تدل عليها الفاظ القرآن ولا ما اثر من التفسير عن الصحابة والتابعين ولا عادات المخاطبين بهذا القرآن ، جرّد تفسيره للايات من هذا كله ونزله على المعانى العربية دون أن يحتكم إى غير استعمال العرب للالفاظ والتراكيب وقد أنكر عليه هذا المنهج جماعة من تلاميذه ومعاصريه ومن بعدهم". (٢١)

**تحليل الكتاب**

يقول محمد زغلول سلام :

"يحسن بنا أن نقف وقفة قصيرة أمام مجهود أبى عبيدة لاعتبارات كثيرة أحدها أنه أول دراسة تصلنا فى هذا الميدان اللغوى فى القرآن ، ثانيها أنه يعتبر مرحلة أولية من مراحل تطور النقد ، والدراسات البيانية فى أسلوب القرآن ، وفى الأدب العربى عامة ، وثالثها أن هذا الكتاب كان مرجعاً لكثير من الدراسات اللغوية والأدبية التى تلت ، لأن الرجل علم من أعلام اللغة والأدب فى القرنين الثانى والثالث ، ولا يصح إغفال إنتاجه فى دراسة متعلقة بالقرآن.يقدم أبو عبيدة لكتابه بمقدمة فى بحوث لغوية عامة فى القرآن يبدؤها ببحث كلمة " القرآن" وله رأى خاص فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اشتقاق هذه الكلمة ينقله عنه لامتأخرون، وهو قوله: (( إنما سمى القرآن لأنه يجمع السور فيضمها ، وتفسير ذلك الأية فى القرآن ، قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَه وَقُرْاٰنَه﴾[٢٢] ويستشهد عليه من كلام العرب.وبعد أن ينتهى من تلك المقدمة العامة التى رسم فيها منهجه ، ووضع فكرته التى دار عليها الكتاب ، ثم خط الخطوط الأولى التى ستجرى عليها كلمة مجاز ، بعد هذا كله يبدأ بتناول السور والآيات تناولا تنازليّاً يبدأ بسورة الفاتحة ، ويتبع فى تفسيره نظاماً معيناً لا يكاد يحيد عنه". [٢٣]

نلخصه فيما يلى:

١ـ يبدأ شرح الآية بآية أخرى ما أمكن

٢ـ يتبعها بحديث فى نفس المعنى

٣ـ ثم يتبعهما بالشاهد الشعرى القديم ، أوبكلام العرب الفصيح ، كالخطب والأمثال والأقوال المأثورة ، ويحرص أبو عبيدة على أن يؤكد دائماً صلة أسلوب القرآن وفنون التعبير فيه بأساليب العرب وفنونهم ، فيذكر دائماً فى ختام كلامه أن العرب تفعل هذا.

وخلاصة القول فى كتاب المجاز أنه كان خطوة فى سبيل الكلام فى طرق القول أو "المجاز" بمعناه العام ، وقد حاول أن يكشف عن بعض ما جاء من ذلك فى أسلوب القرآن ، مع مقارنته بما جاء فى الأدب العربى. وساعد عليه محصوله الغزير فيه.

**معانى القرآن للفرّاء**

معانى القرآن وهو أشد وأدهى فى السير على هذا المنهج واستفاد صاحبه من "مجاز القرآن"إلى حد كبير حتى قيل إنه نسخة مغيرة من كتاب أبى عبيدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول دكتور زغلول سلام:

"يعتبر معانى القرآن للفراء دراسة مكملة من الناحية اللغوية لكتاب مجاز القرآن لأنه يبحث فى التراكيب والإعراب ، والمجاز يبحث فى الغريب والمجاز ، وكلتا الدراستين متعلقتان بالأسلوب ، واختلفت دراسة الفراء هنا عن دراسة أبى عبيدة ، وكان لهذا الخلاف أسبابه التى سنراها عما قليل، واسم الكتاب معانى القرآن لم يكن أول اسم أطلق على كتاب فى دراسات من هذا النوع كما كان المجاز مثلا ـ فيما نعلم". (٢٤)

ويبدأ بتفسير القرآن سورة ـ سورة بعد مقدمة قصيرة ـ بترتيب تنازلى يشرح ما فى الآيات من الغريب والإعراب والقراء ات شروحاً مختلفة ،لغوية ونحوية وأخبارية وأدبية.وقد يبين أسباب النزول ثم يسند كلما وجد إلى السند سبيلاً. " (٢٥)

**ويقول احمد امين باحثا عن منهجه**

"ويرى أحد الباحثين أن الفراء أول من تناول تفسير القرآن بترتيب السور معتمداً على نص لابن النديم ليس قاطعاً ، كما أن كتاب" المجاز"ينفى هذا الظن أويشكك فيه ". (٢٦)

**منهج الكتاب**

دكتور زغلول سلام يلقى الضوء على منهج الكتاب مفصلًا

"يبدأ بسورة الفاتحة ثم البقرة وهكذا تنازليّاً ، ويتعرض لآيات كل سورة آية آية بالترتيب فلم يقتصر على الغريب كما فعل أبو عبيدة شارحاً ومفسراً لغريب الألفاظ ويقف كلما استدعاه للوقوف، لقراءة فى آية يصححها أوينفيها أويضعها-ثم يفسرها تفسيراً نحويّاً ويوجه ما يحتاج منها إلى التوجيه النحوى أو اللغوى. ويأتى بالأمثلة والشواهد ثم يدرج المسألة جميعاً تحت قاعدة عامة. ويتبع فى تفسير الغريب قاعدة واحدة هى التى اتبعها أبو عبيدة من قبل تلك هى شرح اللآية بالآية ، ثم بالحديث إذ تسى ذلك ، ثم بالشاهد الشعرى أو المثل ، أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكلام الفصيح. وإذا تعرض لأسباب النزول فإنما يروى بالسند عن أئمة المفسرين من الصحابة والتابعين ـومثال ذلك من الكتاب :

تفسيره للآية: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَه﴾[٢٧] فيقول : قرأها يحي بن وثاب وأبو جعفر المدنى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عِبَادَه﴾ على الجمع ، وقرأها الناس ـ عبده ـ ، وذلك أن قريشا قالت للنبى ﷺ: ما تخاف أن تحملك آلهتنا لعيبك إياها فأنزل الله تبارك وتعالى "أليس الله بكاف عبده" محمداً ﷺ فكيف يخوفونك من دونه ؟ والذين قالوا عباده قالوا قد همت أمم الأنبياء بها ووعدهم مثل هذا فقالوا لسيّدنا هود: ﴿إِنْ نَقُوْلُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ اٰلِهَتِنَا بِسُوْءٍ﴾ [٢٨] فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبَادَه﴾ ، أى محمداً والأنبياء قبله ﷺ وكلّ صواب" [٢٩]

**أشهر كتب التفسير الإعتزالى على المنهج اللّغوى:**

ذكر الدكتور محمد حسين الذهبى كتب التفسير الإعتزالى كلّها الّتى الّفت من ابتداء فتنة اللإعتزال إلى العصر الحاضر واحصى أسماء جميع التفاسير ومؤلفيها اختصاراً فقال :

> "نتصفح طبقات المفسرين للسيوطى وطبقات المفسرين لتلميذه الداودى وغيرهما من الكتب الّتى لها عناية بهذا الشّان فنجد أنّ من أشهر من صنف فى التفسير من المعتزلة ابوبكر ، عبدالرحمان بن كيسان الاصمّ المتوفى ٢٢٠هـ أقدم شيوخ المعتزلة إنه ألّف تفسيراً للقرآن الكريم ، ولكنا لا نعلم عن هذا التفسير خبراً حيث أنه فقد بمرور الزّمن وتقادم العهد عليه[٣٠]

وهكذا ذكر أحد عشر تفسيراً مع ذكر اسم مؤلّفيها ونبذة يسيرة من منهجها، ويقول:

> "ولم تكن هذه التفاسير أكثر حظاً من غيرها من كتب التفسير المختلفة حيث امتدّت إلى كثير منها يد الزمان ، فضاعت بتقادم العهد عليها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحرمت المكتبة الاسلامية العامة من معظم هذا التراث العلمى الّذى لوبقى إلى يومنا هذا لا لقى لنا ضواً واضحاً على مدى التفكير التفسيرى لشيوخ هذا المذهب الاعتزالى ولكشف لنا عن حقيقة ما ينسب لبعض شيوخهم من تفسيرات واسعة النطاق ، نسمع بها من علمائنا المتقدمين ، ونقف منها موقف الحائر بين الشک واليقين لما يذكر عنها من الاستفاضة والتضخم إلى حدّ يكاد يكون متخيّلاً أو مبالغاً فيه" (٣١)

فظهر من هذه العبارة المذكورة إنه لم يصل إلينا منها إلاّ هذه المصنفات الثلاثة وهؤلاء أشهر من عرفناهم من مفسّرى المعتزلة.

١ـ تنزية القرآن عن المطاعن للقاضى عبدالجبار

٢ـ وامالى الشريف المرتضى

٣ـ والكشاف للزمخشرى

تفسير تدبر قرآن ومنهج الشيخ امين اصلاحى فى تحقيقه اللغوى، وفى العصر الحاضر جدّد هذا المنهج اللغوى الاستاذ حميد الدين فراهى رحمه الله صاحب نظام القرآن الذى كان وحيد عصره فى معرفة اللغة ثم اخذ عنه تلميذه الشيخ امين احسن اصلاحى:

قد عنى الشيخ عناية خاصة باللّغة العربية ـفهى أساس لفهم القرآن الكريم فى نظره وقدذكرها الإصلاحى فى مقدمة تفسيره ضمن الوسائل الداخلية لفهم القرآن الكريم، حيث قال:

"اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم هى التى توجد فى كلام شعراء الجاهلية مثل أمرئ القيس وعمرو بن كلثوم وزهير ولبيد وفى كلام خطباء الجاهلية مثل قس بن ساعدة ونحوه ،وليست بتلك التى كان يستعملها المتنبى أوالحريرى ولا هى بلغة تصدرها الصحف والجرائد فى بلاد مصر والشام مثلا،ولذا لابد لكل من يريد أن يتذوق بلاغة القرآن فى ايجازه واعجازه أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يمارس كلام شعراء أو (خطباء) الجاهلية وبدون تذوق كلامهم لايمكن إدراك محاسن لغة القرآن ولايستطيع أن يدرك ذلك السحر الذى أعجز كل بليغ وفصيح من مناقشة هذا الكتاب". (٣٢)

ولكننا نعترف مجهودات الأستاذ امين احسن أصلاحى ونشيّد بها ونرحّب بها لأنه قد سدّ هذا الباب المفتوح لكل من يدخل منه إلٰى تفسير القرآن على ميل هواه وجعله تحت النظريات التى نسقها دون الإمعان فى روح القرآن ونشلانه ولكن مع ذلك نجد أنه فتح بابا أخر لم ينبه إليه أثناء ذلك وهو أنه إن كان جعل كلام العرب مصدرًا موثوقًا ومرجعًا قطعيًّا لا كلام فى صحته ولا محل للإمتراء فيه ولكن جعل الأحاديث وآثار الصحابة مصدرا ظنيًا وخاصة حيثماجعل فيها الشكوك والشبهات ويطلقها دون الوصول إلى النتائج المتوصلة إليها وهذا يسير بنا إلى باب الإلحاد.

الشيخ أمين أحسن أصلاحى وكان قد أفاد بهذا التفسير القرآنى منهج القرآن كثيرا جدّا ولكن مع ذلك تولدت فكرة سلبيّة عنه عند من جاء بعده ولم يفكر الظروف الّتى الجأته ان يجعل القرآن أصلا ولم يقصد بذلك اهمال الحديث.

**خلاصة الكلام:**

ظلّ المتقدّمون يفسّرون من كلام العرب ويرجعون إليه دون تردد واضطراب وكانوا متمسّكين بذلك ومعترفين به ،ولكن الذين جاؤا بعد ذلك قلّ اهتمامهم بكلام العرب أسندوا على ذلك حتٰى وصل الأمر إلٰى بعض المفسّرين الذين فسّروا القرآن الكريم على نظرياتهم الّتى وضعوها واخترعُوها بأنفسهم، دون الرجوع إلىٰ كلام العرب وعدم الإعتناء بلغة قريش،وانصبّ إهتمامهم على الأبيات النّادرة والشاذّة وبنوا عليها نظرياتهم التى أحيانا تخالف روح القرآن وعلى المضئ قدمًا سارواعلى ذلك حتٰى أنكروا بعض الأخبار السماويّة والمعجزات القرآنيّه التى لامحل فيها للشك ولامقام للإمتراء قد أطلقوا ألسنتهم فيها وخرجوا على الدّين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكذا قد تجرؤا فى القرآن الكريم حتى حرّفوا فيه دون الإمعان والتعمّق.أعاذنا الله منه وهدانا إلى سواء الصراط.

********************

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

# الهوامش والإحالات

١) خالد بن عثمان السبت ، قواعد التفسير جمعًا ودراسة، الخبر دار بن عفان، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الاولىٰ ، ١٤١٧ـ١٩٩٧، ص:١/٢١٠

٢) الزركشى، محمد بن عبدالله بدرالدين، البرهان فى علوم القرآن،بيروت، دارالكتب العلميّة ،الطبعة الاولىٰ، ١٤٠٧،ص:١/١٥

٣) المصد ر السابق، ص: ١/١٦

٤) الحربى ، حسين بن على حسين ، قواعد الترجيح عند المفسرين ،الرياض: دار القاسم ، الطبعة الاولٰى ١٤١٧ـ١٩٩٦،ص: ٢/٣٦٣

٥) الجوهرى، ص:٦/٢١

٦) نصر الهورينى،العلامة، مقدمة القاموس المحيط، بيروت: دار احياء التراث العربى، ص: ١/٢٥

٧) المصد ر السابق ، ص:١/١٧٠

٨) السيوطى، عبد الرحمٰن بن الكمال، جلال الدين، المزهر فى علوم اللغة وانواعها، مصر المكتبة الازهرية، ١٣١٠، ص: ١/٥

٩) سورة الفرقان : ٧٢

١٠) السيوطى، عبد الرحمٰن بن الكمال، جلال الدين، المزهر فى علوم اللغة وانواعها، مصر المكتبة الازهرية، ١٣١٠ ، ص: ١/٥

١١) الذهبى، محمدحسين، الدكتور، التفسير والمفسرون، القاهرة : مكتبة وهبة، بدون، ص: ١/٢٦٧

١٢) محمد زغلول سلام، الدكتور، اثر القران فى تطور النقد العربى إلى أخر القرن الرابع الهجرى، ص:٤٠

١٣) ابن قتيبه، عبدالله بن مسلم، أبى محمد، كتاب تاويل مختلف الحديث فى الرد على أعداء أهل الحديث، بيروت:دارالكتاب العربى، بدون، ص: ١٠١

١٤) الجاحظ، عمرو بن بحر، ابى عثمان، البيان والتبيين ، القاهرة: المؤسسة الخانجى، بدون، ص: ١/١٤

١٥) محمد زغلول سلام، الدكتور، اثر القران فى تطور النقد العربى إلى أخر القرن الرابع الهجرى، ص:٤٠

١٦) الجاحظ، عمرو بن بحر، ابى عثمان، كتاب الحيوان، مصرمكتبة الجاحظ، الطبعةالاولٰى،١٩٣٨ ص: ٢/٢٣٠

١٧) الذهبى، محمد حسين، الدكتور، التفسير والمفسرون، ص: ٢/ ٢٤٥

١٨) سورة الجن: ١٨

١٩) سورة الغاشية: ١٧

٢٠) الجاحظ، عمرو بن بحر، ابى عثمان، كتاب الحيوان، ص: ١/١٤٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢١) الحربى، حسين بن على بن حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، الرياض: دارالقاسم، الطبعة الاولىٰ،١٤١٧ هـ ، ص: ٣٦٦/٢

٢٢) سورة القيٰمة آية ١٧

٢٣) محمد زغلول سلام، الدكتور، اثر القرآن فى تطور النقد العربى إلى أٰخر القرن الرابع الهجرى،ص: ٢٥

٢٤) اهتم كثير من النحويين واللغويين فى القرون الثلاثة الاولى بوضع كثير من الكتب تحت أسماء "معانى القرآن " ومن هؤلاء الكسائى، والنضربن شميل وقطرب والأخفش وغيرهم، واينما ذكر أصحاب التفسير أصحاب المعانى فانّما يقصدون هؤلاء

٢٥) محمد زغلول سلام ، الدكتور، اثر القرآن فى تطور النقد العربى ،ص: ٥٠

٢٦) احمد امين، ضحى الاسلام، بيروت: دارالكتاب العربى، الطبعة العاشره ، ص: ٢ / ١٤١

٢٧) سورة الزمر: ٣٦

٢٨) سورة هود: ٥٢

٢٩) محمد زغلول سلام ، اثر القرآن فى تطور النقد العربى إلى آخر القرن الرابع الهجرى، ص: ٤٨

٣٠) الذهبى، محمد حسين، الدكتور، التفسير والمفسرون، ص: ١/ ٢٧٥

٣١) التفسير والمفسرون، ص: ١/ ٢٧٥

٣٢) الإصلاحى، امين احسن، مقدمة تدبر القرآن ، تحت عنوان، لغة القرآن، ص: ١٥

********************

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com